

الفصل السادس

من جرائم المستعمرين في السودان

◆ في الوقت الذي تتحدث فيه حكومة السودان الاستعمارية عن سودنة الإدارة توطئة لتدريب السودانيين والوصول بهم إلى الحكم الذاتي ، نسكى تلهي بعض صغار النفوس عن الجهاد لتحقيق حريتهم بمخائهم شخصية تافهة ، نراها إلى هذا اليوم (سبتمبر ١٩٤٦) تستخدم الانكليز بالجملة وتجزل لهم العطاء وآخر مافعلته في هذا الباب أن عينت ستة من الانكليز في الخدمة الثابتة تمنحهم حق المعاش في وظائف ، كسبة ، فاذا كان السودانيون لا يستطيعون في نظرها ملء الوظائف الكتابية فمتى يستطيعون أن يحكموا أنفسهم ؟

ولسنا نستغرب هذا التناقض من الانكليز لكننا نرثي للبلهاء الذين يصدقون ما تقوله حكومة السودان

◆ تقع جزيرة توتي عند ملتقى النيلين ويواجه طرفها الجنوبي فندق (الجرانند أوتيل) الذي يسكنه أو يرتاده الانكليز ، فاذا هبت رياح الشتاء حملت بعض الرمال عبر النيل إلى الضفة الأخرى حيث الجرانند أوتيل ، فأذت أعين الانكليز الرقيقة التي يجرحها من النسيم . فما شعر سكان الجزيرة إلا ومدير الخرطوم يندبهم ذات يوم بنزع ملكية الجزيرة ونقلهم إلى جهة أخرى بعيدة ، فراعهم مادبر لهم الانكليز ليستلبوا أرض الآباء والأجداد . رفع الأهالي ظلامتهم ولا مجيب ، فذهب عدد منهم إلى مكتب مدير الخرطوم فمنعهم البوليس من متابته واستقبلهم بالضرب فالتحموا معه في معركة استشهد فيها أحد أبناء توتي برصاص البوليس .

وكانت محاميات اشمن منهن ضحية العدالة وحكم عليهم فيها بالسجن والنفقات
لكنهم أنقذوا أرضهم العزيزة الطيبة وما زال أشبالها إلى اليوم يحرسونها ،
وما زالت رابضة تجاه الجرانند أوتيل قذى في أعين الاستعمار وبقيت كالقلمنة
الحصينة صامدة للدخلاء

فسلام على شهيد توتي الكريم ، و سلام على أبطالها المجاهدين

❖ ليس بالسودان إلى يومنا هذا مكتبة عامة واحدة ، ولم تفكر
الحكومة في ذلك . ولقد شعر المواطنون بحاجتهم القصوى إلى مثل هذه
المؤسسة . وقبل سنين فكر سوداني كبير المقام في إنشاء مكتبة عامة بأمر درمان .
فرفضت الحكومة التصديق له بذلك تحت ستار إنها هي تفكر في إنشاء مكتبة
عامة فلا داعي لهذه المكتبة

وليس في السودان من يصدق هذه الدعوى التي يتعمل بها الاستعمار لتأجيل
مشروع نافع وخاصة ما يتعلق بانارة الشعب وإيقاظ الوعي فيه

ترى لو صحت هذه الدعوى فماذا كان يضير حكومة السودان أن تكون
هناك مكتبتان ؟؟

❖ أسماء الشوارع الرئيسية في الخرطوم :

فكتوريا — غردون — كتشنر — امستاك — السردار — ونجت — جيسى

سلاتين :

أسماء الحدائق العامة : سرفيلدهول — برامبل

أكبر مدارس السودان : اسمها كلية غردون

مدرسة الطب : اسمها مدرسة كتشنر

التمثالان الوحيدان هما : غردون - كتشنر

الملجأ الحكومى الوحيد : ملجأ استاك

معمل الكيمياء الوحيد : معمل استاك

أسماء داخلية الطلبة فى كلية غردون :

كتشنر - استاك - مافى - ونجت - آرشر - كرى

هل نعيش فى حوض النيل أم فى حوض التاميز ؟

◆ (٥) تنص المادة الثالثة من قانون الحاكم العام سنة ١٩٣٦ على ما يأتى :

« طبقا لاحكام هذا القانون فان كل حاكم عام يستحق معاشا اذا كانت

(١) مدة خدمته كحاكم عام لا تقل عن ثلاث سنوات ، أو كانت جملة مدة

خدمته كحاكم عام ومدة خدمته كحاكم فى إحدى ممتلكات صاحب الجلالة لا تقل
عن ثلاث سنوات

(ب) مجموع خدمته كحاكم عام وخدمته بالمعاش تحت قانون المعاشات

(ان وجدت) فى خدمة التاج البريطانى الثابتة لا تقل عن ثلاث سنوات

فكان الحاكم العام الذى يعمل بالسودان شهرا واحدا يستحق من السودان

معاشا طول حياته اذا كان له سابق خدمة فى أى جزء من أجزاء الامبراطورية

السنا إذا جزءا من الامبراطورية رغم الأوضاع الدولية والمعاهدات ؟

نعم أليست الامبراطورية (عزبة) لا تغيب عنها الشمس ؟

◆ (٦) اعتاد أحد مفتشى نيالا (انجليزى طبعا) أن يستخدم عربية يجرها

حصان فى غدوانه وروحاته ، وذات يوم تفتق ذهنه عن فكرة لتدرب بعض

أبناء العمدة والنظار والأخذ بناصرهم للقيام بأعباء الحكم الذاتي، فأحضر عددا منهم وألبسهم ملابس السماعة وألحقهم بمكتبته، وكان عملهم أن ينفقوا حجابا بياضا، فإذا ما ذهب إلى منزله حملوا حافظة أوراقه وأشياءه الأخرى، وركب هو العرببة، وهم من خلفه يهرولون حتى يصل إلى المكان الذي يريد وهذه مدرسة الحكم الذاتي!!

❖ كان بالمحكمة العليا في الخرطوم منذ سنتين قاض انجليزي. أما مؤهلات هذا الرجل التي رفعتة إلى هذا المنصب الكبير فهي شهادة التعليم الإلزامي ونيشان حازه لما أظهره من بسالة في الحرب الأولى. هكذا يقول مؤلف Who is Who فهل قصد الانجليز من توظيفه في هذا المنصب الكبير أن يظهر بسالته وجراته على العدل؟

❖ عندما انتصر اللورد كيتشنر في موقعة ام درمان على قوات البلاد الوطنية في عام ١٨٩٨ أمر ذلك القائد الذي يفخر به الانجليز بأن تباح المدينة لجنوده وضباطه ثلاثة أيام لهم فيها أن يقتلوا وينهبوا وينتقموا الحرمات كما يشاءون

❖ في ١٩٢٤ قام بعض السودانيين الأحرار بثورة مسلحة ضد الاستعمار البريطاني. فلما أخذت الحركة حكم على أربعة من المشتركين فيها بالإعدام وبني الباقون إلى جهات المناطق الاستوائية فعاش من عاش وتوفي من توفي، وكانوا يجمعون أياما عديدة قبل أن يقدم لهم طعام لا يكفي لسد الرمق

❖ في أثناء محاكمة رجال حركة ١٩٢٤ كانت المحكمة تأمر بجسد المتهم فورا في دار المحكمة وأمام الجمهور لأي حركة أو كلمة أو إشارة تعتبرها المحكمة إساءة، وكان من بين هذه الأعمال المعاقب عليها عدم رجوع المتهم عن مبادئه السياسية

كما كان المتهمون أثناء الحجز الاحتياطي داخل سور من الأسلاك الشائكة

في العراق ، وكان يصب عليهم صباح كل يوم في الشتاء القارس الماء البارد من الخرطوش دون ان يكون لديهم ما يتدفرون به

◆ في عام ١٩٢١ ثار من يدعى (عبد الله السحيمي) في مركز نياالا على الحكومة وقتل مفتش المركز ومن معه من الجنود والموظفين . جردت الحكومة حملة استطاعت ان تقضى على الثورة، ولكن بعد أن استسلم هذا الرجل وجميع اتباعه ، ذهبت الحملة الى القرية التي كان يقطنها الثائر واحاطتها بالمدافع الرشاشة ، وانطلقوا يقذفون السكان بالرصاص لمدة ثلاث ساعات كاملة فقتل أهل القرية جميعا بما فيهم الأطفال والنساء .

◆ في عام ١٩٤٥ كان بمركز سنجة مفتش انجليزى شاب جاءه بعض الأهالى يطلبون الترخيص باقامة قرية جديدة فاذن لهم وعين لهم الموقع . وبعد أيام ذهب ووجدهم قد انشأوها في غير الموقع الذى حدد له لهم فما كان منه الا أن أمر باحراقها فاحرقت كلها، وهرب الأهالى تاركين وراءهم كل ما يملكون طعاما للنيران . ولم يترتب على هذا الاثم الشنيع أى شئ . كان

ورحم الله نيرون الذى ذهبت بسيرته الأمثال

◆ وفي نفس العام أحرق مفتش آخر قرية في مركز القضايف . فقد اتهم بعض سكانها بتهمة حيازة سلاح نارى غير مرخص به ولم يستطيع البواليس عند التفتيش أن يهتروا على شئ منه فأمر بحرق القرية فأحرقت .

◆ في هذا العام وأمام الحوادث التى أعقبت قيام وفد السودان بجزءات حكومة السودان لتيقظ الشعور وظهور الروح الوطنى فعمدت الى أسلوب من العنف والضغط وكسبت الحريات فاقامت المحاكمات بالجملة حتى شملت صغار الطلبة

واعتقلت هذه الحكومة (الشريفة) دون حكم ، المواطن محمد محمد طه
لأنه كتب منشورا يكشف به الاعمى ووضع في سجن كوبر ، ومنع عن
اداء الصلاة ، ووضع في زنزانه مع بعض المصابين بالسيل في درجات المرض
الخطيرة . ولم يطلق سراحه الا بعد تدخل المؤتمر وخشية قيام الاضطرابات من
أفراد الشعب

◆ (١٥) أذاعت جريدة صوت السودان الحرة أنه قد وقع في يد محررها
خطاب سرى ديجته يراعى السكرتير الادارى السابق لحكومة السودان الى أحد
رؤساء القبائل يطالب منه تأييد حزب انفصالي معين انشأته الحكومة مناوأة
السودانيين من أعداء الاستثمار

فلم تجرؤ الحكومة على تكذيب هذا الخبر وهى التى تنشر كل يوم بيانا
فيما هو أقل من هذا الاتهام خطرا

أن الحلال بين والحرام بين ١١

◆ (١٦) تقول المادة السادسة من قانون الصحافة ١٩٣٠ ، يجوز للسكرتير
الادارى من غير ابداء أسباب أن يرفض الترخيص باصدار أية صحيفة كما يجوز
له أن يسمح بها بشروط يحددها هو . وله أن يوقف أو يلغى ترخيص أية صحيفة
تخالف تلك الشروط . وله بموافقة الحاكم العام أن يعدل أو يوقف أو يلغى
أية رخصة ممنوحة تحت مواد هذا القانون بغرض المحافظة على النظام ،

أما المادة الثامنة فتعطى السكرتير الحق في منع أية صحيفة أو نشرة أو
كتاب من دخول السودان كما تنص على عقوبة المخالفة بالسجن والغرامة

هذه هى حرية الصحافة وحرية التعبير التى يقدها الانجليز ١

◆ (١٧) حزب الأشقاء هو أكبر الأحزاب السودانية وهو صاحب الأغلبية في المؤتمر ، ولكن ذنبه عند حكومة السودان أنه حرب على الاستعمار والمستعمرين ، ولذلك رفضت له أربعة عشر طلبا لصحيفة تعبر عن رأيه ، في الوقت الذي أعطت فيه حزبا آخر أكثر من صحيفة ، بل ومنحت بعض الأفراد صحفا ومجلات .

أين أنتم يا أنصار الحريات الأربع ؟؟

• • •

◆ (١٨) أول ما يحتاج اليه السودان لترقيته هو المواصلات ، ولا يزيد طول السكك الحديدية عن الالفى كيلو في بلد تبلغ مساحته مليوناً من الأميال المربعة ، وهذه النسبة الضئيلة أقل ما هو موجود في العالم بأسره

◆ (١٩) عندما فتح الإنكليز السودان في عام ١٨٩٨ ؛ طلب اللورد كيتشنر أن تكون الخطوط الحديدية التي بدأت من حلفا الى داخلية البلاد — أضيق من خطوط مصر ، قاصداً بذلك الى وضع العراقيل أمام اتصال البلدين عن طريق السكة الحديد بين حلفا والشلال

◆ (٢٠) تزدهم مصلحة السكة الحديد السودانية بصغار الموظفين الإنكليز الذين لا كفأة لهم على الإطلاق ، حتى أنك لتجد في كل ورشة عددا منهم لا يستهان به ، بدعوى الاشراف عليها كهندسين ميكانيكيين . والعجيب أن أكثرهم ينهنر فرصة وجوده بالورشة ليتعلم الميكانيكا على أيدي العمال السودانيين

◆ (٢١) منذ بضع سنوات كان يدير محطة عطبرة مفتش وطني راتبه ٢٥ جنيه شهريا ، فأحضرت المصلحة خمسة من المفتشين الإنكليز الى نفس المحطة يتقاضى كل منهم أربعين جنيها شهريا ، بينما ظل ذلك الوطني يقوم بجميع أعباء العمل وظل الخمسة من غير عمل !

◆ ومنذ بضع سنوات كان يقوم على اصلاح جسور السكة الحديد
مهندس سودانى يتقاضى ١٢ جنيهًا مصريًا فى الشهر . وبعد قليل جرى له بانجازى
مرتبه ٤٥ جنيهًا مصريًا وعين رئيسًا عليه ، فاكتشف السودانى أن رئيسه غير
مهندس ، بل أحضر لىكى يدرس الهندسة وفعلا استمر مع العمال عدة سنوات
وهو يدرس كتبًا أحضرها معه ، حتى تمكن من نيل أولى شهاداته الهندسية فى
أحدى إجازاته بانجلترا

◆ تدبر مصلحة السكة الحديد فئدين فى مصيف (أركويت) وكانت
تتقاضى عن الشخص الواحد فى خمسة عشر يومًا ١٢ جنيهًا مصريًا ، فلما نشبت
الحرب الأخيرة وزادت التكاليف خفضت الأسعار الى ثمانية جنيهات للشخص ،
ثم انتهت الحرب وبدأت الأسعار فى الانخفاض ، ولكن العجيب أن الأجور
زادت ورجعت الى ما كانت عليه أولاً .

أما اللغز الذى يستتر خلف هذا المسلك ، فهو أن الانكيز كانوا لا يحتاجون
المصيف اذ يقضون إجازاتهم فى بلادهم ، فلما قطعت الحرب أسباب المواصلات
واضطروا لارتياذ المصيف ، نزلت الأسعار بحاملة لهم ، فلما انتهت الحرب وفتح
الطريق ، زادت الأجور مرة أخرى

أرأيت كيف يشفقون على دافع الضرائب المسكين ! ؟

◆ أما طرق السيارات الممهدة فمعدومة . . وقد حدث أن احتاج
الامريكان الى تسيير عرباتهم ايام الحرب بين الفاشر والابيض ، واقترحوا أن
يقوموا هم بإنشاء طريق ممد فاذا انتهت الحرب سلموه للحكومة

فهل يصدق أحد أن حكومة الرشيدة رفضت ذلك ، واعتذرت بأنها
لا تستطيع أن تتحمل نفقات اصلاح الطريق عندما يؤول اليها

الجنوب

◆ (٢٣) يمشى أكثر أهالي الجنوب عراة ، وليس ذلك لأنهم يدينون بمذهب العري ، بل لأن الحكومة تمنع القادرين منهم من لبس الثياب . وكل من لبس منهم ثيابا فإنه يتعرض للمحاكمات والسجن . وقد حدث أن جندت الحكومة في الحرب الأخيرة بعض الجنوبيين في قوة الدفاع ، وعند تسريحهم في أول هذا العام ، أرادت الحكومة إرجاعهم واسترجاع الملابس العسكرية منهم ليكونوا عراة كأخوانهم ، فرفضوا وهددوا بالثورة ، فخافت الحكومة غضبهم وتركتهم على مفضل كاسين

وعما يدل على أن العري سياسة مقصودة ، ان الكمية المخصصة لركز واو كله هي عشرين بالة من القماش فقط ، ولا يصرف للشخص أكثر من ربع متر تكفي لعمل طاقية للرأس ، ولا تكفي لعمل أى شيء آخر يستر الجسم

وتعمل الحكومة على إفقار الأهالي هناك ، فقد حددت سعرا للثور يبيعه به سكان الجنوب ثلثي درين هو ١٥٠ قرشا للرأس ولكن لما كان سعره في الخرطوم حوالى الستة جنيهات وهى لا تريد أن يكسب التاجر السوداني كل هذا الفرق فتد فرضت على الرأس عند شرائه ضريبة قدرها أربعة جنيهات وبذلك ينقص ربح التاجر الى نحو الخمسين قرشا بعد مصاريف النقل

◆ ونفس الشيء يعمل في جمع العسل فان ثمن القنطار ستين قرشا ولكن الضريبة عليه ثلاثة جنيهات ، والضريبة على الشطة ثلاثة جنيهات ، وهكذا الحال في غيره من المحاصيل وهذه هى رفاهية السودانين التى يريدون تحقيقها

◆ (٢٥) تحدد الحكومة أجر العامل في الجنوب بخمسة عشر مليا في اليوم

على ألا أكثر لا يمكنه أن يشتري بها أكثر من حفنة من الذرة يأكلها هو وأولاده كما هي من غير أدام

◆ (٢٦) ترسل الحكومة بعض شبان الجنوب من المتعلمين في مدارس الارساليات إلى كلية مكريري بيونغنده ليكملوا تعليمهم الثانوي هناك، فإذا عادوا وظفهم بمرتب ١٢٠ قرشا في الشهر فقط . وأخيراً احتج بعضهم على قلة المرتبات، فما كان إلا أن طردوا من الخدمة، حتى جاء الكثير منهم إلى الخرطوم راجين من المؤتمر التدخل لحل مشكلتهم

◆ (٢٧) صرح انجليزى كبير لأحد الموظفين من السودانيين قائلا، (من الخير أن تتركوا التعلق بالجنوب إذ هو يختلف عنكم في الدم وفي الثقافة وفي التقاليد والعادات ، وأن مستقبل السودان في أراضي الجزيرة وسهول القصارف) .

◆ (٢٨) تستخدم الحكومة بعض الجنوبيين في دواوينها في وظائف كتابية إلى جانب اخوانهم من أبناء الشمال . ولكن للجنوبيين كادر يختلف عن الشماليين إذ لا يزيد مرتب الواحد منهم عن القدر الذى يعطى للشمالي كبديل سائس . ويشترط هذا الكادر الا يصل مرتب الجنوبي بعد عشرين سنة إلى أكثر من أربعة جنيهات في الشهر . كما أن هذا النظام لا يسمح بنقل الجنوبي إلى الشمال مع أنهما موظفين في حكومة واحدة .

◆ يمنع تدريس اللغة العربية في مدارس الجنوب ولا ينقل إليها من الشمال مدرس يحتاجون اليه إلا إذا كان من الأقباط او غيرهم من المسيحيين .

◆ (٣٠) في مدارس الجنوب يعلقون في كل فصل صورة للملك الانجليزى الحالى وصورة للملكة اليصابات كما يعلقون العلم الانجليزى وحده .

وفي سنة ١٩٣٨ زار السير استيورت سايمز الجنوب فوجد العلم الانجليزى

وحده مرفوعا، فأمر برفع العلم المصري إلى جانبه ولكن العلم اختفى بعد ذلك وعادت الحال كما بق العهد بها .

❖ كان بالجنوب منذ سنوات مفتش يسمى (فرجوسن) اختلط بالاشغال السذج اختلاطا شديدا وتبين لهم بمرور الزمن ان علاقاته مع النساء غير شريفة فتربصوا له وقتلوه . فما كان من حكومة السودان الا أن جردت عليهم حملة واقتضت منهم قصاصا بالجملة دون محاكمات او قضاء : وما يذكره شهود العيان ان خلفه ويدعى (كوريات) كان يقتل الافراد لاقبل شبهة بضربهم بأسياخ من حديد على رؤوسهم وربطهم الى ذيل حصان يندفع بأقصى سرعة

❖ في مركز كتم بمديرية دارفور مفتش يدعى مستر مور ، أقام حاكما للمنطقة أكثر من ربع قرن ، استطاع في خلالها أن يفصل المركز من جميع العالم ، وحتى هذا اليوم لا يوجد بالمركز مكتب للبريد أو البرق أو التلفون أو مدرسة للاطفال . وكان هذا الرجل يدافع عن سياسته جهارا فيقول أن المدنية شر والخير لنا (نحن سكان كتم) أن نبتعد عن مظاهر المدنية الأوربية ١٩

وشهر شاهر من أهد

هذه الوثيقة الخطيرة دراسة لأحوال السودان ، أصدرتها
هيئة بريطانية في انجلترا أسمها (في دافن الإمبراطورية)
تلحقها بهذه الفصول لاشرا مادرة ممن لا يمكن أنه يزعم اذا
ما كشف عن الا عجب الانظمة الاستعمارية أوضح سبب انهم
الافرضه . ونارنج صرورها هو سبتمبر ١٩٤٥

تتجلى أهمية السودان العالمية في موقعه على النيل ، حيث يتحكم في مصير مصر
التي تعتمد على ماء النيل في حياتها ، كما تتجلى أهميته في موقعه الاستراتيجي على
البحر الأحمر في طريق المواصلات إلى الشرق الأقصى ، زيادة هلى ما في السودان
من قوى اقتصادية كامننة عظيمة منها القطن الذي نال قدرا ملحوظا من المكائنة
والاهتمام .

وتكاد مساحة السودان تبلغ مليوناً من الاميال المربعة ، أما عدد سكانه
فيتراوح بين السبعة والتسعة ملايين نسمة ، لانه لم يعمل فيه احصاء رسمى
دقيق .

والسودان مستعمرة بريطانية ، من جميع نواحيه ، ماعدا الناحية القانونية
الدستورية ، ويسمى وضعه السياسى بلغة القانون الدولى وحكما ثنائيا ، تشترك
فيه بريطانيا ومصر . ولقد نشأ هذا النظام فى عام ١٨٩٨ حينما قامت حملة
بريطانية مصرية ، بتقويض أركان الحكومة المهدية المستقلة ، التى صمدت أربعة
عشر عاما كاملة أمام جميع القوى الاستعمارية .

ولقد عمدت سلطات الاحتلال البريطاني إلى بسط نفوذها على المنطقة المأهولة بغير المسلمين ، ففتحت الجنوب على مصراعيه لارساليات التبشير المسيحي ، وحاربت انتشار الاسلام في ارجائه ، ووضعت القوانين الصارمة لمنع الانتقال بين الشمال والجنوب ، ولقد كان أسلوب « فرق تسد » هو السلاح الفعال للاستعمار في السودان ، كما هي الحال في ، كل مكان .

ولما اندلع طيب الثورة الوطنية في مصر ، في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، اشترك فيها الوطنيون السودانيون - وأغلبهم من المثقفين والضباط في جيش مصر - وقامت ثورة عسكرية مسلحة في الخرطوم ، عاصمة البلاد ، في عام ١٩٢٤ يمكن مقارنتها بثورة عيد الفصح في ايرلندا

اقتصاديات السودان

ويعتبر السودان من بلاد المراعى ، اذ تمتد في أغلبيته الصحارى الواسعة والمستنقعات التى لانهاية لها ، والسواد الاعظم من رجال القبائل يعيشون على الزراعة ، وتربية الماشية والاعنام والجمال ، وأكثرهم من البدو الرحل ، الذين ينتقلون بقطعانهم من مرعى إلى مرعى . ونظرا لحالة البلاد البدائية فقد ظلت المهنتان في مستوى منخفض ، وظلت غالبية السكان مهددة بخطر الموت جوعا وفى عام ١٩١١ قامت الحكومة بمشروع كبير لرى أرض الجزيرة ، وابتدأت زراعة القطن على نطاق واسع ، ولقد وضعت أسس المشروع . على أن يقوم بالزراعة مستأجرون سودانيون ، وتشرف على إدارة شركة السودان الزراعية ، « ويحتكر رأس مالها البريطانيون في الغالب » . هذه الشركة ومعها شركة أقطان كسلا التابعة لها تحتكران القطن في السودان . ولقد وفقت الشركة منذ عام ١٩١٣ ، إلى عقد اتفاقية رابحة مع الحكومة ، وبفضلها تأخذ الحكومة ٣٥ في المائة من المحصول ، وتأخذ الشركة ٢٥ في المائة ، منه ، ويأخذ المستأجر ٤ في المائة

ولما كان عبء العمل كله يقع على عاتق المستأجر ، فإنه أصبح يفضل استخدام عمال زراعيين من جبال النوبة ، لرخص أجورهم ، مهماً بذلك العمال العرب .

وعندما هبطت أسعار القطن في سنة ١٩٢٨ ، انخفضت أرباح المستأجر ، فانخفضت تبعها لها أجور العمال الزراعيين ولم ترتفع مرة أخرى بالرغم من الارتفاع الواضح في تكاليف المعيشة .

وفي هذا العام أعلنت الحكومة أنها لن تجدد عقد الشركة ، وستأخذ هي حقول القطن فتحولها الى مشروع تعاوني ، ولكن يلوح الآن ان هذا المشروع سيؤجل ان لم يبلغ بالمرّة

ومع ان الحكومة قد أقامت محالج القطن في الجزيرة ، إلا أنها عارضت بشدة في أن ينشئ التجار والوسطاء السودانيون ، معامل لغزل القطن ونسيجه

وبجانب ورش السكك الحديدية الكبيرة بعطبرة ، فإنه لا يوجد في السودان من الصناعات إلا التافه القليل ، والحكومة فوق احتكارها للسكك الحديدية . فإنها تحتكر أربعة خطوط رئيسية للبواخر النيلية ، وتملك أحواضاً لتكرير الملح في بورتسودان ، ومنجما أو منجمين للذهب في تلال البحر الاحمر . وفي الخرطوم بحري توجد ورش الاسلحة وأحواض السفن النيلية . وفي الخرطوم توجد ورش صغيرة حكومية ، كما يوجد مصنع للزجاج ، وخطوط الترام تربط المدن الثلاث ، الخرطوم ، والخرطوم بحري ، وأم درمان ، التي يربو سكانها على ربع المليون

وقد حلت شركات الاحتكار الانجليزية ، مثل كوتس وجلاتي هانكي ، محل البيوت التجارية الفردية كأمثال اخوان كوتتمخالوس . وهذه الشركات تسيطر على الجزء الاعظم من صادرات البلاد ووارداتها

ويعمل كثيرون من مختلف الجنسيات في المنشآت الحكومية والتجارية .
هذا وأن جانباً كبيراً من تجارة البلاد يتبادل مع مصر . وعلى العموم فإن
العلاقات الاقتصادية بين البلدين وثيقة ، لأن النيل ، شريان الحياة ، مشترك بينهما

الحركة الوطنية في السودان

في عام ١٩٣٦ برز مؤتمر الخريجين العام إلى حين الوجود ، كأول هيئة
منظمة للنشاط الوطني ، فحقق بذلك أغراض البرجوازية النامية في السودان ،
التي تتكون في الغالب من طبقات الخريجين والمتقنين والتجار ، وأعد المؤتمر
برنامجاً وسطاً لتعليم السودانيين ، وبدأ يجمع الأموال لهذا الغرض ، فلما وجد
الجمهور الحاجة ماسة لبرنامجهم ، اتسع نفوذ المؤتمر بين الناس وقويت شوكتهم ،
وبعد قليل فتحت أبواب العضوية للذين تخرجوا من المدارس المتوسطة ،
فبلغت العضوية قبل عام ، عشرة آلاف ، وربما بلغت الآن عشرين ألفاً ،
والمؤتمر مائة لجنة منتشرة في أرجاء السودان الشامل مدنه وقراه الكبيرة

وقد استطاع المؤتمر أن ينشئ ، بالأموال التي جمعها في الأربع أو الخمس
سنوات الماضية ، ما يزيد على المائة مدرسة ، بما في ذلك واحدة أو اثنتان في
الجنوب ، والمدارس الوسطى التي أسسها في هذا الزمن الوجيه أكثر مما أسسته
حكومة السودان في مدى نصف قرن كامل (١٢ مدرسة حكومية وسطى فقط
مقابل ١٣٦ مدرسة أهلية)

وبهذا العمل استطاع مؤتمر الخريجين أن يكسب تأييد الجماهير وثقتها ، فلما
جاء إبريل سنة ١٩٤٢ بعث المؤتمر بذكرى إلى الحاكم العام ليرسلها بدوره إلى
دولتي الحكم الثنائي — إنجلترا ومصر — يطلب فيها للبلا د حق تقرير المصير
وإطلاق الحريات العامة ، ولكن حكومة السودان رفضت هذه المذكرة بحجة

أن المؤتمر لا يمثل الشعب السوداني ، ولكي تناهض هذه الحركة الوطنية لتفتت المجلس الاستشارى فى عام ١٩٤٤ ، حتى تكون متشعبة — سطحية — مع تيار التقدم الذى خالقه الحرب الاخيرة ، ليسكون دهيكل ، فى يدها تلوح به لدنيا ما بعد الحرب ، كدليل على ما قامت به حكومة السودان لرفاهية أهله وحكومتهم الذاتية ، ويتسكون أعضاء المجلس فى الغالب من مرشحي الحاكم العام ، ولهذا قاطعه المؤتمر ، لما فى تكوينه من مجافاة للبادئ الديمقراطية ، ولا تزال هذه المقاطعة تسرى إلى اليوم

وفى خلال سنى الحرب ، وقبل تكوين المجلس الاستشارى ، أسست الحكومة المجالس البلدية ، ومجالس المديريات التى كان طابعها يختلف باختلاف المناطق ، وهى مجالس ديمقراطية إلى حد ما ، ولكنها عديمة الجدوى لقصر سلطاتها على شئون الرى فى المنطقة

وفى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، تقدم المؤتمر بمذكرة ، ضمنها قرار أغلبية أعضائه ، لدولتي الحسك الشنائى يقول فيها : « ان السودان يريد حكومة ديمقراطية حرة — فى حدوده الجغرافية الحاضرة — تحت التاج المصرى » ، وبمعنى أبسط فانه يريد اتحادا حقيقيا مع مصر ، ويزاد فى أثر هذا القرار والاقبال عليه ظهور نتائج الانتخابات فى إنجلترا لسنة ١٩٤٥ ، زيادة على مساعدة السودان فى الحرب دفاعا عن قضية الديمقراطية ، ولكن هذه المذكرة أعيدت إليهم أيضا بحجة أنهم لا يمثلون السودان كله بل ولا المؤتمر نفسه ، لان القرار قد صدر بموافقة أصواب الاغلبية ولم يكن صدوره بالاجماع ، ولذلك فهو — فى منطق الاستعمار — لا يمثل حتى رأى المؤتمر !!

ونتيجة لهذا الرد أخذت الجماعات تنضوى تحت لواء المؤتمر ، وهذه

الجماعات هى :

(١) الاتحاديون : يريدون الاتحاد الكامل مع مصر وليست للسودان حقوق منفصلة

(٢) الأحرار الاتحاديون : يريدون الاستقلال للسودان على أن تكون صلاتهم بمصر هي التاج فقط

(٣) جماعة الوحدة (الاشقاء) يريدون برلمانا واحدا مع مصر وحكومة داخلية للسودان تحت ظل التاج المصرى

(٤) الأحرار : مثل جماعة الوحدة

(٥) القوميون : يريدون استقلالاً تاماً للسودان ومهادنة مع مصر واتحاداً جبركياً وحفظ السيادة للسودانيين

كل هذه الجماعات أعضاء في المؤتمر وتعمل تحت لوائه وفى داخله ، وهى ليست أحزاباً بالمعنى الصحيح ، لأنه لا اختلاف بينها الا فى تحديد نوع الاتحاد مع مصر

ولكن هناك حزبا سياسيا واحدا منفصلا عن هؤلاء وتعرف به الحكومة وهو حزب الأماة ، مع ان المؤتمر نفسه غير معترف به من الحكومة كحزب سياسى ، أما حزب الأماة فينادى بالاستقلال التام للسودان مع علاقات ودية مع بريطانيا ومصر . وهذا الحزب يقبل كل شخص سودانى لعضويته متعلما أو جاهلا مادام يدفع رسما قدره خمسة قروش مرة واحدة فى الحياة ، وقد يقوم الحزب بدفعها له ، وهذا الحزب يؤيد المجلس الاستشارى — وقد انشأت هذا الحزب حكومة السودان بطريق غير مباشر — ويرعى الحزب السيد السيد الرحمن ابن المهدي وأكبر ملاك الأرض فى السودان ، أما أعضاء حزب الأماة فهم رؤساء الإدارة الأهلية ، وكبار موظفى الحكومة ، الذين هم أبواقها ، والذين يغذون مشروعات

السودنة ، وجميعهم من رجال « نعم ، الذين لا يعصون للإنجليز أمراً ، كما إن للحزب صحيفة يومية يمتلكها .

أما أحزاب المؤتمر فتطلب تكوين لجنة من ممثلي الحكومتين ومن السودانيين ينتخب أعضاؤها المؤتمر ويكون عملها تحديد المدة التي تتحقق بعدها الحرية وجلاء قوات الاحتلال ، بشرط أن يسبق ذلك إطلاق الحريات العامة ، لتنهض البلاد صناعياً ، وتستغل ثروتها برأس مال وطني ، على أسس تقدمية كمشروع الجزيرة ، وما شابهه ، كما يجب أن يرتفع التعليم ويتسع ويتدرب السودانيون ليحلوا محل الموظفين الحاليين .

وفي هذه المذكرة يوضح المؤتمر فشل الحكومة في خلق نهضة صناعية ، وفي تدريب السودانيين وتعليمهم ، وقد وافقت على المذكرة جميع الجماعات المؤتمرة ، كما وافق عليها حزب الأمة الذي وجد نفسه في موقف حرج واضطر للتوقيع مع غيره .

وفي الاجتماع السنوي لانتخابات المؤتمر فاز دعاة الوحدة مع مصر بينما قاطعت الجماعات الأخرى الانتخاب نظراً لفشل مشروع الائتلاف ، ولكنهم مازالوا يوالون الاجتماعات للوصول إلى إتفاق .

ولقد زاد تأييد الكتل العمالية في عطبرة للمؤتمر زيادة كبيرة في الأيام الأخيرة . أما نقابات العمال فلا تسمح الحكومة بقيامها ، ولكن العمال الفنيين وانصاف الفنيين قد انشأوا لأنفسهم نوادي في المدن غير أن نفوذ هؤلاء في المؤتمر مازال ضعيفاً ، مع أن دخول العمال في هذه الهيئة له أثر كبير في تطور النشاط السياسي في المؤتمر بوجه عام ، كما إنه يثير خلافات سياسية حادة داخل المؤتمر .

وبالرغم من هذه الحركات التقدمية في السودان ، فإنه من المهم أن تعلم أن التفرقة القديمة بين الشمال والجنوب مازالت قائمة ، كما يجب أن نعلم أن كل الظروف المؤدية إلى قيام حكومة دكتاتورية « بوليسية » مازالت موجودة .

وحتى الآن فإن عمل المؤتمر قد اقتصر على شمال السودان ، بينما يظل الجنوب ممسكرا للرقيق ، وفي دوائر الحكومة ميل شديد إلى النظر لمشاكل الجنوب بالعين التي ينظرون بها لمشاكل كينيا وتنجانيقا ويوغندا .

وفي أيام الحرب خضعت الاجزاء النائية من الجنوب لسلطان قيادة شرق افريقيا واحتلتها قواتها التي تتكلم اللغة السواحلية .

أما حاجة السودان الملحة ، فهي لمعونة اقتصادية وفنية ترفع قوى الانتاج بين اهله الرعاة ، وتنهض بالصناعة في حدود طاقة البلاد

وبما أن السودان محكوم « حكما ثنائيا » فهو لا يستفيد من الإعانات التي تتلقاها المستعمرات من بريطانيا ، وبهذا فهو يتحمل كل اعباء الاستثمار محروم من جميع الثمرات .